والتلفزيون فلسطيني من العراق . اما في وكالة الانباء العراقية فنذكر اسم محمد محمود ابو زمق. وكي تكتمل الصورة نتطرق الى المجال الرياضي رغم انه لا يدخل في هذا الباب . ونلاحظ انه لم يلمع نجم رياضي فلسطيني واحد . والذي يستحق الذكر من الرياضيين حامي الهدف مروان غالب الذي يعتبر من لاعبي الدرجة الاولى في بغداد . وقد حاولت المنظمة ايلاء النشاط الرياضي جانبا من اهتمامها فشكلت فريقا لكرة القدم غير ان معظم لاعبي هذا الفريق كانوا من الفلسطينيين الوافدين.

الحياة السياسية

لم يحمل الفلسطينيون معهم في هجرتهم الاولى العام ١٩٤٨ ايا من مؤسساتهم السياسية والحزبية الى مهاجرهم الجديدة ، بعد ان فشلت تلك المؤسسات فكرا وممارسة في قيادة الشعب الفلسطيني وتنظيمه واعداده . غير اننا نستطيع ان نؤكد ان الفلسطينيين حملوا معهم شيئا حافظوا عليه هو فلسطينيتهم التي ما تخلوا عنها قط في احرج الظروف واقساها . ولم يشكل فلسطينيو العراق استثناء من هذه القاعدة ، بل ربما لا نجانب الصواب اذا ذكرنا ان « الفلسطينية » في العراق تأكدت اكثر منها في اي قطر عربي اخر ، اذ لم يذب الفلسطيني في المجتمع العراقي بل ظل محتفظا بجميع خصائص شخصيته بايجابياتها وسلبياتها ، وهو يتحسس هذه الشخصية ، تعيش معه في الوعي وفي اللاوعي . ولسنا هنا في صدد تقييم هذا الامر شجبا او موافقة ولكنها حقيقة يتلمسها كل من عاش في العراق وعايش فلسطينييه .

ولكن ما هي الظروف التي منعت الفلسطينيين من الاندماج في المجتمع الذي احاط بهم وابقتهم متفردين في فلسطينيتهم ؟ سأضرب صفحا عن « العام » الذي ينتظم الفلسطينيين جميعا في مختلف الاقطار التي لجأوا اليها ، واتناول « الخاص » الذي ربما تفرد به وضع الفلسطينيين في العراق .

لقد قدم اللاجئون الاوائل ، كما قلت في موضع سابق ، من مجتمع زراعي (قرى اجزم وجبع وعين غزال) واستقروا في العاصمة بغداد التي هي بالمقارنة مع مجتمع الاصول متطورة حضاريا . وكان هؤلاء اللاجئون بحكم فقرهم الشديد غير قادرين على تنمية انفسهم اقتصاديا ، وبحكم افتقارهم المهارات الفنية عاجزين عن الدخول في حلبة المنافسة مع العمال المهرة العراقيين . بمعنى انهم لم يستطيعوا ان يتكيفوا مع الحياة الاقتصادية الجديدة التي انفتحت امامهم بغتة وبدون سابق اعداد وتهيئة ، فاضطروا الى الانعزال في ملاجئهم ذات الجدران الفلسطينية والمحتوى الفلسطيني ، الامر الذي جعل منهم شبه طبقة ذات خصائص منفردة : فقيرة ــ فلسطينية ، وجعل اندماجها فيما حولها امرا متعذرا . وقد ساعد على ذلك جملة من العوامل ندرجها كما يلي :

١ ــ لم يعمل اي من اللاجئين في العراق في القطاع الزراعي بسبب ان الحكومات العراقية ، في مختلف عهودها ، منعت الفلسطينيين من تملك الاراضي من جهة ، ولان اللاجئين استقروا في المدن الكبيرة [بغداد ، البصرة ، الموصل] من جهة اخرى . وبذلك لم تتهيأ للفلسطينيين فرصة الاسهام في عملية الانتاج والالتصاق بالارض وهما عاملان رئيسيان من عوامل الاندماج .

٢ ــ لقد عززت القوانين والانظمة العراقية المتعلقة باوضاع الفلسطينيين عدم الاندماج : فقد ظلت معاملة الفلسطينيين معاملة متميزة في الوظائف والاقامة والسفر بالاضافة الى التملك . فقد كانوا حتى فترة قريبة يعاملون في الوظائف معاملة الاجانب ، وهم يمنحون تذاكر سفر خاصة بهم . ولدى سفرهم خارج العراق يطلب منهم ان يستحصلوا على موافقة مديرية شؤون الفلسطينيين، وفي اعقاب حرب ١٩٦٧ ، وخشية الهجرة خارج الوطن العربي ، اصبح الفلسطيني مضطرا عند السفر الى الحصول على موافقة منظمة التحرير الفلسطينية .

٣ ــ لا بد ان نشير كذلك الى التركيب الخاص للمجتمع العراقي والذي يتميز بتعدد قومياته وديناناته التي ترتصف على ارضيته متكاثرة دون شبهة من اعتراض. وهذه القوميات تحتفظ بجميع مقوماتها من عادات ولغة وغير ذلك . و « الفلسطينية » عندما دخلت العراق كاقلية اتخذت لها موقعا على هذه الخارطة البشرية دون ان تكون محتاجة لتبرير الاحتفاظ بشخصيتها او للتخلي عنها ازاء هذا التعدد المبرر والمقبول .

٤ ــ رغم ان العراق قد رحب بمقدم اللاجئين اليه ، الا ان كثرة من العراقيين ، وبسبب ما اتهم به الفلسطينيون باطلا بأنهم باعوا ارضهم ،